تفسير الجلالين

تأليف

للشيخ العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي رحمه الله

٧٩١-٨٦٤هـ

للشيخ العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله

٨٤٩-٩١١هـ

مع الحواشي المستلّة من تفسير الخازن وروح البيان وأبي السعود والإكليل والكرخي والبيضاوي والمدارك وروح المعاني وحاشية الجمل والصاوي والكمالين والأحمدي والكبير والسراج المنير والسمين والمعالم والخطيب والكشاف والزلالين وابن كثير والدر المنثور والصحيحين للإمام البخاري والإمام مسلم وسنن الترمذي وأبي داود وابن ماجه والنسائي

المجلد الأول

طبعة جديدة ملونة

مكتبة البشرى
قسم الطباعة والنشر
ممبئي شاهراه علي المدينة (السهلة) كراتشي، باكستان

عزيزي القارئ الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

عن أبي سعيد ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «من لم يشكر الناسَ لم يشكر الله» (جامع الترمذي)

فنشكرك على اقتنائك كتابَنا هذا، الذي بذلنا جهداً كثيراً بتوفيق الله ﷻ، كي نخرجَه على الصورة الفائقة، فدائماً نحاول جهدنا في إخراج كتبنا بنهج دقيق متقَن، مع مراجعة دقيقة للكتاب مرة بعد أخرى.

ومع هذا، فالإنسان محدَق بالضعف والعجز مهما بلغ من الدقة، كما قال الله تعالى ﷻ: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨)

فأخي العزيز! إن ظهر لك خطأ مطبعيٌّ أثناء قراءتك للكتاب أو كانت عندك اقتراحات أو ملاحظات، فدوّنها وأرسلها لنا، وبهذا تكون قد شاركتَ معنا بجهد مشكور يتضافر مع جهدنا في السير نحوَ الأفضل.

جزاكم الله تعالى خيراً

Postal Address: 9A/1, Muhammad Ali Society, opp: Awami Markaz, off: Sharah e Faisal, Karachi. 75350

اسم الكتاب : تفسير الجلالين (المجلد الأول)

تأليف : للشيخ العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي رحمه الله

للشيخ العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله

الطبعة الثانية : ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

عليك الملاحظة بقائمة الأسعار

مكتبة البشرى

للطباعة والنشر والتوزيع

AL-BUSHRA PUBLISHERS

Choudhri Mohammad Ali Charitable Trust (Regd.)

Z-3, Overseas Bungalows Gulistan-e-Jouhar, Karachi- Pakistan

الموقع على الشبكة : www.maktaba-tul-bushra.com.pk

www.ibnabbasaisha.edu.pk

البريد الإلكتروني: al-bushra@cyber.net.pk

يطلب من مكتبة البشرى، كراتشي. باكستان +92-321-2196170

الهاتف: +92-21-34541739, +92-21-37740738

+92 334-2212230, +92 346-2190910

+92 314-2676577, +92 302-2534504

وأيضًا يوجد عند جميع المكتبات المشهورة

مقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده؛ ليكون للعالمين نذيراً، وتحدى المنكرين حتى لو اجتمع جنّهم وإنسهم على أن يأتوا بمثله لم يكادوا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، والصلاة والسلام على من نطق بالحق، ففتح الله به أعينا عُميا وآذانا صُمّا وقلوبا غُلفا، وعلى آله وأصحابه الهادين المهديين إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن من أجلّ العلوم وأرفعها علوم شريعتنا البيضاء، وعلم التفسير من بين هذه العلوم أعلاها شأنا وأقواها برهانا، كيف لا! وموضوعه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وعلم تفسير القرآن هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على الرسول ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، ويعرف به أيضا نزول الآيات وأسبابها وشؤونها وقصصها ووعدها ووعيدها وأمثالها.

وبالجملة قد ظهر لنا أن تفسير القرآن بحر لا ساحل له، لا يكفي من خاضه معرفة اللغة العربية فحسب، بل لا بد أن تكون له مهارة تامة في علوم اللغة من نحو وصرف وأدب وبلاغة ومعان وبيان، ومع ذلك يشترط أن يكون راسخاً رسوخاً كاملاً في التفسير والحديث والفقه وأصول هذه العلوم، وكذا في الكلام والعقائد أيضاً، وإلا كان كمن ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء.

وإننا إدارة مكتبة البشرى قد عزمنا على طباعة جميع الكتب الدراسية، مراعين في ذلك متطلبات عصرنا الراهن، وتنفيذا لعزمنا وتحقيقا لهدفنا خطونا خطوة طباعة تفسير الجلالين وإخراجه في ثوبه الجديد وطباعته الفاخرة، وكل ذلك بفضل الله وتوفيقه، ثم بجهود إخوتنا الذين بذلوا غاية وسعهم في تصحيحه وتجميله حتى تم تخريجه بهذه الصورة الرائعة، فجزاهم الله كل خير، ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا الجهد المتواضع، ويجعله في ميزان حسناتنا، إنه سميع مجيب.

مكتبة البشرى

كراتشي باكستان

منهج عملنا في هذا الكتاب:

قد تقرر أن الكتاب **تفسير الجلالين** أحد الكتب الأساسية في منهج مدارسنا العربية، ولأهمية هذا الكتاب قمنا بتحديث طبعه في طراز جديد، فخطونا فيه الخطوات التالية:

أولاً من ناحية التصحيح والكتابة:

- بذلنا مجهودنا في تصحيح الأخطاء الإملائية والمعنوية التي قد توارثت قديماً.
- وراعينا قواعد الإملاء وعلامات الترقيم، وتقسيم النصوص إلى فقرات ليسهل فهمها.
- ووضعنا أرقام الأجزاء وأسماء السور في رؤوس الصفحات.
- وطبعنا الآيات القرآنية بالرسم العثماني محركة وباللون الأحمر؛ تمييزا بين القرآن وتفسيره.
- وقمنا بتجلية النصوص القرآنية والأحاديث القولية خاصة باللون الأحمر في الحواشي دون المتن.
- وأشرنا إلى التعليقات التي في حاشية الكتاب باللون الأسود الغامق في المتن.
- وشكّلنا ما يلتبس أو يُشكل على إخواننا الطلبة.
- وما وجدنا من عبارة طويلة فيما يلي السطر لتوضيح العبارة وضعناها في الهامش بين المعقوفين هكذا: [ ].

ثانياً من ناحية التحقيق والتدقيق:

- وما اطلعنا عليه من تكرار شرح الكلمة حذفناه من الذيل واكتفينا بذكره في الحاشية فقط؛ تجنباً عن التكرار.
- وتلونا تلو الشيخين في ذكر القراءة عند اختلاف القراءات، حيث أخذنا القراءة التي تصدّى الشيخان لشرحها.
- وعرّبنا الحواشي التي كانت بالفارسية حين لم نر في تعريبها بأسا، إلا ما ذكره المحشي باللغة الفارسية بعد ما ذكره بالعربية الفصحى فارتئينا حذفه.
- وأوضحنا الرموز التي ذكرها المحشي في أواخر الحواشي إشارة إلى مصادرها، فذكرناها بالأسماء كاملةً.

وختاما، هذا جهدنا بين أيديكم، فإن وفقنا فيه فالفضل لله وحده، وإن كان غير ذلك فالخطأ لا يخلو عنه بشر، والحمد لله بدايةً ونهايةً.

مكتبة البشرى

كراتشي، باكستان

ترجمة الجلالين المحلي والسيوطي رحمهما الله

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى أما بعد، فإن القرآن الكريم كلام البارئ تعالى، أوحاه إلى أفضل خلقه بلاغاً للناس ولينذروا به، فكان باقيا بين الناس على مدى الزمان والأيام دون تحريف وتبديل، وقد كان رسول الله ﷺ يفسر ما يجب بيانه لأصحابه بأقواله وأفعاله، ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى نهض خلفاؤه بهذا العبء الثقيل فأدوا واجبهم وهلمّ جراً، حتى نقل علم التفسير إلى الكتب والمجلدات المتنوعة من موجز وبسيط، ومن أحسن التفاسير اختصارا والتزاما بموضوعات التفسير الأساسية دون الإخلال بالمعاني هو تفسير القرآن العظيم المسمى بـ **تفسير الجلالين**.

وكلمة " الجلالين" تعني جلال الدين المحلي رحمه الله وجلال الدين السيوطي رحمه الله، فهما اللذان اشتركا في وضع هذا التفسير.

لقد كان البادئ جلال الدين المحلي رحمه الله، فلقد ابتدأ تفسيره من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، ثم شرع بتفسير سورة الفاتحة، وبعد أن أتمها وافته المنية فلم يفسر ما بعدها.

وأما جلال الدين السيوطي رحمه الله فقد جاء بعد جلال الدين المحلي رحمه الله و لم يشأ أن يبقى عمل صاحبه ناقصا؛ لذلك عكف على إتمامه، وابتدأ من حيث انتهى المحلي، وهو سورة البقرة وتابع التفسير إلى نهاية سورة الإسراء التي وقف المحلي عندها، ووضع تفسير سورة الفاتحة التي فسرها جلال الدين المحلي رحمه الله في آخر التفسير؛ لتكون ملحقة به.

وبهذه المناسبة، ونحن نتحدث عن هذين الرجلين المفسرين العالمين رحمهما الله نقدم في هذه العجالة نبذة صغيرة عن حياة كل منهما؛ ليتعرف القارئ شخصيتيهما، ويقف على جلالة قدرهما وعظيم علمهما.

أما جلال الدين المحلي رحمه الله، فاسمه محمد بن أحمد بن إبراهيم المحلي – نسبة إلى المحلة بمصر – ويذكرون في ترجمته أنه كان عالما بالأصول ومفسرا، كما وصفوه بالمهابة والصدع بالحق، وأنه كان يواجه الظلمة والحكام ولا يهاب منهم، ويأتون إليه فلا يأذن لهم، وكثيرا ما عرضوا عليه مناصب رفيعة فلا يقبلها، وعرضوا عليه منصب قاضي القضاة فرفضه، عاش بين سنة ٧٩١ - ٨٦٤ للهجرة الموافقة لسنة ١٣٨٩ - ١٤٥٩ للميلاد.

وأما جلال الدين السيوطي رحمه الله، فهو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أو الأسيوطي – نسبة إلى أسيوط – وصفوه بأجمل ما يوصفه عالم الحديث النبوي، فقالوا: هو المسند أي

يحفظ أحاديث رسول الله ﷺ بكامل أسانيدها كما وصفوه بالمحقق، وقالوا في ترجمته: كان صاحب مؤلفات فائقة نافعة ووصفوه بالإمام الحافظ والمؤرخ والأديب والعالم الذي ندر له مثيل، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة.

نشأ جلال الدين السيوطي رحمه الله في القاهرة يتيما، ولما بلغ الأربعين اعتزل الناس وخلا بنفسه في "روضة المقياس" على النيل منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه، وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الهدايا فيردها، وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه الهدايا فردها، وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة ٩١١هـ \ ١٥٠٥م.

هذان الرجلان جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي عملا لله فبارك الله عملهما، وكتب لهما الخلود في هذه الدنيا والبقاء والانتشار، فأنت لا تكاد تدخل بيتا من بيوت المسلمين في العالم العربي إلا وتجد نسخة من تفسير الجلالين.

إن هذه الرغبة الصادقة من الناس جميعا في اقتناء هذا التفسير؛ نظرا لإيجازه وسهولته وعدم الإسهاب فيه. دفعت كثيرا من الناشرين وأصحاب دور الكتب إلى السعي في طباعته والتفنن في زخرفته والتشويق إليه رغبة في ربح دنيوي أو أخروية.

وأخيراً نشكر لإدارة "دار القلم العربي" بدمشق شكراً جزيلاً؛ إذ كل ما ذكرنا من ترجمة الشيخين الجليلين رحمهما الله (بقلم الدكتور البكري شيخ أمين) فملتقط من النسخة التي طبعت بها.

مكتبة البشرى

كراتشي، باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا **موافيا** لنعمه، **مكافئا لمزيده**، والصلاة والسلام **على محمد** وآله وصحبه وجنوده. أما بعد، **فهذا** ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة **تفسير القرآن** الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق المدقق جلال الدين محمد بن أحمد (اسمه) المحلي (صفة للتفسير مخصصة له) الشافعي رحمه الله، **وتتميم ما فاته**، .....

الحمد لله إلخ: افتتح المصنف رحمه الله كتابه بهذه الصيغة؛ لأنها أفضل المحامد، كما صرحوا به فيما لو نذر: أن يحمد الله بأفضل المحامد، أو حلف: ليحمدن الله تعالى بجميع المحامد أو بأجلِّ التحاميد فطريقه أن يقول: "الحمد لله حمدا إلخ". (تفسير الكرخي) **موافيا**: أي مقابلا لها بحيث يكون بقدرها.

مكافئا لمزيده: أي مماثلا ومساويا. و"المزيد" مصدر ميمي من: زاده الله النعم.

على محمد: وفي نسخة: "على سيدنا محمد"، وعليها فعطف "وآله" وما بعده على "سيدنا"، لا على "محمد"؛ لما يلزم عليه من إبدال "محمد وآله وصحبه وجنوده" من السيد وهو في نفس الأمر "محمد".

فهذا: هي بمنزلة "أما بعد" في أن كلا منهما اقتضاب مشوب بتخلص. و"هذا" إشارة إلى العبارات الذهنية التي استحضرها في ذهنه؛ ليحصل بها تكميل تفسير المحلي.

تفسير القرآن: أي التبيين والتوضيح، وأصل التفسير من التفسرة، وهي: الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض، كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية، وقصتها (معالم التنزيل). والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير: تعيين معنى اللفظ بواسطة نقل من قرآن أو سنة أو أثر، أو بواسطة التخريج على القواعد الأدبية، وأن التأويل: حمل اللفظ المحتمل لمعان على بعضها بواسطة القواعد العقلية الصحيحة.

وأيضا قال العلماء: التفسير: البيان، وهو يتعلق بالرواية، والتأويل: صرف اللفظ إلى محتمله، وهو يتعلق بالدراية. والتفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، فلا يجوز إلا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل. واشتقاق التأويل من "الأوْل" وهو الرجوع، فيقال: أوَّلته فآل أي صرفته فانصرف. (معالم التنزيل)

المحلي: نسبة إلى المحلة الكبرى، مدينة من مدن مصر. ولد سنة ٧٩١هـ وتوفي سنة ٨٦٤ هـ، فعمره ثلاث وسبعون، وقبره قبالة "باب النصر".

وتتميم ما فاته إلخ: في التعبير بـ"التتميم" تسامح من حيث إن ما أتى به السيوطي تتميم لما أتى به المحلي لا لما فاته؛ إذ الذي فاته هو نفس ما أتى به السيوطي. وقوله: "وهو من أول" الضمير راجع لـ"ما فاته" أو

وهو من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء، **بتتمة** على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتنبيه على القراءات المختلفة **المشهورة** على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضيِّة وأعاريب محالُّها كتب العربية. والله أسأل النفع به في الدنيا، (بالتتميم) وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمنِّه وكرمه. (الباء للتوسل)

وهو من أول إلخ: أي وأما الفاتحة: ففسرها المحلي، فجعلها السيوطي في آخر تفسير المحلي؛ لتكون منضمة لتفسيره، وابتدأ هو من أول البقرة، وفسر هذا النصف في مقدار ميعاد الكليم أي في أربعين يوما، بل في أقل منها، وكان عمره إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة أو أقل منها بشهور، وكان ابتداء تأليف هذه التكملة بعد وفات المحلي بست سنين. (حاشية الجمل)

بتتمة: متعلق بقوله: "وتتميم" والباء بمعنى "مع"، وقوله: "والاعتماد" عطف على "ذكر"، وكذا قوله: "وإعراب"، وقوله: "على وجه لطيف" متعلق بالمصادر الأربعة قبله، والمراد باللطيف هنا القصير. وقوله: "وترك التطويل" عطف على "وجه لطيف"، وقوله: "غير مرضية" أي عند المفسرين، وقوله: "وأعاريب" عطف على "أقوال"، وقوله:" الكتب العربية" وهي كتب النحو والبلاغة أيضا.

المشهورة: بمعنى اللغوي يعني الواضحة؛ فلا ينافي أن القراءات السبعة كلها متواترة، وأن المشهور عندهم رتبة دون رتبة المتواتر. وهي القراءات السبعة التي أنزل القرآن بها، كما ورد: "أنزل القرآن على سبعة أحرف".

سورة البقرة مدنية، مائتان وست - أو سبع - وثمانون آية.

نزلت بعد المطففين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ **الله أعلم** بمراده بذلك ذَٰلِكَ .....

سورة: اختلف العلماء في حدها، وقال الجعبري: حد السورة: قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات، كذا في "الإتقان". و"سورة البقرة" مبتدأ، و"مدنية" خبر أول، و"مائتان" خبر ثان. وقوله: "ست أو سبع آية" منشأ هذا الخلاف اختلاف المصحف الكوفي في رؤوس بعض الآي. **مدنية**: في كون السورة مكيةً أو مدنيةً خلاف كثير، وأرجحه: أن المكي ما نزل قبل الهجرة ولو في غير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة أو عرفة. وقوله: "مدنية" إلا الآيتان منها أي ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ (البقرة:١٠٩)، و﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ (البقرة:٢٧٢). (الإتقان)

آية: الآية أصلها: آئية، حذفت الهمزة تخفيفا، وقيل: غير ذلك. وهي في العرف: طائفة من كلمات القرآن متميزة بفصل، والفصل: هو آخر الآية. وقد تكون كلمةً، مثل: ﴿وَالْفَجْرِ﴾، ﴿وَالضُّحَى﴾، ﴿وَالْعَصْرِ﴾، وكذا ﴿الٓمٓ﴾ و﴿طٰهٰ﴾ و﴿يٰسٓ﴾ ونحوها عند الكوفيين، وغيرهم لا يسميها آيات، بل يقول: هي فواتح السور. وعن أبي عمر رضي الله عنه: إني لا أعلم كلمة ما هي وحدها آية إلا قوله: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم: اختلف الأئمة في كون البسملة من "الفاتحة" وغيرها من السور سوى سورة براءة، فذهب الشافعي وجماعة من العلماء إلى أنها آية من الفاتحة، ومن كل سورة ذكرت في أولها سوى براءة، وهو قول ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك وأحمد - في إحدى الروايتين عنه - وإسحاق رحمهم الله، ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن أبي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب رحمهم الله. وذهب الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله إلى أن البسملة ليست آية من "الفاتحة"، زاد أبو داود رحمه الله: ولا من غيرها من السور، وإنما هي بعض آية في سورة النمل، وإنما كتبت للفصل والتبرك.

الله أعلم: إشارة إلى ما اختاره جمهور السلف والخلف أن الحروف المقطعة من المتشابهات التي لا يعلم تأويله إلا الله، كما قال الشعبي وجماعة: ﴿الٓمٓ﴾ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وهو سر القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله. وفائدة ذكرها: طلب الإيمان بها، قال أبو بكر الصديق: "في كل كتاب سر، وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور". وقال علي رضي الله عنه: "إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذه الكتاب حروف التهجي". قال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور، فقال: يا داود، إن لكل كتاب سرا، وإن سر القرآن فواتح السور، فدعها وسل ما سوى ذلك. وقال جماعة: هي معلومة المعاني، فقيل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ الكاف من كافٍ، والهاء من هادٍ، والياء من حكيم، والعين من عليم، والصاد من صادق. (تفسير الكمالين ومعالم التنزيل)

أي هذا ٱلْكِتَٰبُ الذي يقرأه محمد ﷺ **لَا رَيْبَ شك** ۛ **فِيهِ** ۛ **أنه** من عند الله، وجملة النفي خبر مبتدؤه "ذلك"، والإشارة به **للتعظيم. هُدًى** خبر ثان، هادٍ ﴿٢﴾ **لِّلْمُتَّقِينَ الصائرين** .....

أي هذا إلخ: أشار بذلك إلى أن حق الإشارة أن يؤتى بها للقريب، وإنما أتى بما يدل على البعيد للتعظيم؛ لكون القرآن مرفوع الرتبة وعظيم القدر. (حاشية الصاوي) وقيل: "هذا" فيه مضمر، أي هذا ذلك الكتاب. قال الفراء: كان الله قد وعد نبيه ﷺ أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، فلما أنزل القرآن قال: "هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك"، وقيل: "هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك في التوراة والإنجيل على لسان النبيين قبلك". و"هذا" للقريب و"ذلك" للبعيد. وقال ابن كيسان: إن الله تعالى أنزل قبل سورة البقرة سوراً كذّب بها المشركون، ثم أنزل سورة البقرة، فقال: ذلك الكتاب، يعني ما تقدم من البقرة من السور لا شك فيه. (معالم التنزيل)

الذي إلخ: [يشير إلى أن "الكتاب" صفة واللام للعهد. (تفسير الكمالين)]للعهد أي وعد له على لسان موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام، أو ذلك إشارة إلى "الـم". وإنما ذكّر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث وهو السورة؛ لأن "الكتاب" إن كان خبره كان "ذلك" في معناه ومسماه، فجاز إجراء حكمه عليه في التذكير، وإن كان صفة فالإشارة به إلى "الكتاب" صريحا؛ لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له، تقول: "هذا ذلك الإنسان" أو "ذلك الشخص فعل كذا".

ووجه تأليف "ذلك" مع "الـم"، إن جعلت "الـم" اسما لسورة أن يكون "الـم" مبتدأ، و"ذلك" مبتدأ ثان و"الكتاب" خبره، والجملة خبر المبتدأ الأول، ومعناه: أن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول: "هو الرجل" أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال. وأن يكون "الـم" خبر مبتدأ محذوف، أي "هذه الـم"، و"ذلك الكتاب" جملة أخرى. وإن جعلت "الـم" بمنزلة الصوت، كان "ذلك" مبتدأ خبره "الكتاب" أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل. (تفسير المدارك)

لا ريب: أي لا ينبغي أن يسألك فيه؛ لوضوح دلالته وسطوع برهانه، أي لاشك فيه أنه من عند الله وأنه الحق والصدق، وقيل: هو خبر بمعنى النهي، أي لا ترتابوا. شك: هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك. (روح البيان) أنه: بفتح الهمزة بدل من الضمير المجرور، أي لا شك في أنه. (تفسير الكمالين)

للتعظيم: يعني إنما استعمل لفظ "ذلك" الموضوع للبعيد؛ للتعظيم. (تفسير الكمالين) هدى: مصدر بمعنى اسم الفاعل.

للمتقين: جمع متقٍ. وتخصيص الهدى بالمتقين؛ لما أنهم المقتبسون من أنواره، المنتفعون بآثاره، وإن كانت هدايةً شاملةً لكل ناظر من مؤمن وكافر. (تفسير أبي السعود) الصائرين: أشار بذلك إلى أن في الكلام مجاز الأول أي المتقين في علم الله، أو من يؤول إلى كونهم متقين. (حاشية الصاوي)

إلى التقوى بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي؛ لاتقائهم بذلك النار. ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ يصدقون بِٱلْغَيْبِ **بما غاب** عنهم من البعث والجنة والنار وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ أي يأتون بها بحقوقها وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ أعطيناهم يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ في طاعة الله. وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ أي القرآن وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ أي التوراة والإنجيل وغيرهما وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ يعلمون. أُوْلَٰٓئِكَ الموصوفون **بما ذكر** عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ الفائزون بالجنة، الناجون من النار. إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كـ"أبي جهل وأبي لهب" ونحوهما سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ **بتحقيق الهمزتين** وإبدال الثانية ألفا **وتسهيلها**، .....

من كفار مكة مساو لورش عن نافع لأبي عمرو وابن كثير

إلى التقوى: ففيه مجاز، وذلك؛ لأنهم لم يتصفوا بالتقوى إلا بعد هدايته وإرشاده لهم. قوله: "الصائرين إلى التقوى" أي راجعين إلى التقوى، فسرهم بذلك؛ لئلا يلزم اهتداء المهتدين، وقد يسمى المشارف للشيء القاصدُ فاعلاً له. والتقوى على ثلاثة أقسام: أحدها: تقوى العوام، وهي اتقاء الكفر بالإيمان. وثانيها: تقوى الخواص، وهي امتثال الأوامر واجتناب النواهي. وثالثها: تقوى أخص الخواص، وهي اتقاء ما يشغل عن الله. والآية يصح أن يراد منها الأقسام الثلاثة.

الذين: تفصيل بعض صفات المتقين. بما غاب: غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداءً بطريق البداهة، وهو قسمان: قسم لا دليل عليه، وهو الذي أريد بقوله سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام:٥٩)، وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته، والنبوات وما يتعلق بها من الأحكام والشرائع، واليوم الآخر وأحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء، وهو المراد ههنا، كذا في "روح البيان". وفي "التأويلات النجمية": واعلم أن الغيب غيبان: غيب غاب عنك، وغيب غبتَ عنه، فالذي غاب عنك عالم الأرواح، فإنه قد كان حاضرا حين كنتَ فيه بالروح، وكذا وجودك في عهد "ألست بربكم"، واستماع خطاب الحق، ومطالعة آثار الربوبية، وشهود الملائكة، وتعارف الأرواح من الأنبياء والأولياء وغيرهم، فغاب عنك إذا تعلقت بالقلب ونظرت بالحواس الخمس إلى المحسوسات من عالم الأجسام. وأما الغيب الذي غبتَ عنه فغيب الغيب، فهو حضرة الربوبية قد غبتَ عنه بالوجود، وما غاب عنك بالوجود وهو يعلم أينما كنتم، أنت بعيد منه وهو قريب منك كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦).

ويقيمون الصلاة: يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئتها، يقال: قام بالأمر إذا أتى به معطيا حقوقه. (معالم التنزيل) بالآخرة: قدم الجار والمجرور؛ لإفادة الحصر. أولئك: "أولاء" كلمة معناها الكناية عن جماعة، و"الكاف" للخطاب. بما ذكر: يشير إلى أن للوصول للعهد. على هدى: عبر بـ "على" إشارة إلى تمكنهم من الهدى كتمكن الراكب من المركوب. بتحقيق الهمزتين: أي إبقائهما على حالهما عن غير تغيير، وهو لابن عامر والكوفيين، ومزيد تحقيقه في الجمل. وتسهيلها: جعل الهمزة بينه وبين الحرف الذي من جنس لفظ إعراب الهمزة. (تفسير الكمالين)

وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، **وتركه**، أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ لعلم الله منهم ذلك، فلا تطمع في إيمانهم. والإنذار إعلام مع تخويف. خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ طبع عليها واستوثق، فلا يدخلها خير وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ .....

وتركه: أي ترك التسهيل مع إبقاء الألف بين الهمزتين لهشام عن ابن عامر. (تفسير الكمالين)

ختم الله إلخ: الختم: الكتم، سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه؛ لأنه كتم له وبلوغ آخره. فإن قيل: إذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، فمنعهم عن الهدى فكيف يستحقون العقوبة؟ قلت: الختم مجازاة لكفرهم، والله تعالى قد يسر عليهم السبل، فلو جاهدوا لوفقهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت:٦٩)، ولما اقترحوا الكفر، فبسببه طبع الله عليهما بدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ (النساء:١٥٥)

والقلوب جمع قلب وهو الفؤاد، سمي قلباً لتقلبه في الأمور ولتصرفه في الأعضاء، والمراد بالقلب في الآية محل القوة العاقلة من الفؤاد، لا الجسم الصنوبري الشكل؛ فإنه للبهائم أيضا، كما في "روح البيان". وفي "الجمل": القلب هو جسم لطيف قائم بالقلب اللحماني قيامَ العرض بمحله، أو قيامَ الحرارة بالفحم، وهذا القلب هو الذي يحصل منه الإدراك، وترسم فيه العلوم والمعارف.

على قلوبهم: هذا وما بعده كالعلة والدليل لما قبله، والمراد بالقلوب العقول، وهي اللطيفة الربانيةُ القائمة بالشكل الصنوبري قيامَ العرض بالجوهر أو قيامَ حرارة النار بالفحم. وقوله: "طبع عليها" إشارة إلى المعنى الأصلي، فأطلقه وأراد لازمه وهو عدم تغيير ما في قلوبهم بدليل قوله: "فلا يدخلها خير". وفي القلوب استعارة بالكناية، حيث شبه قلوب الكفار بمحل فيه شيء مختومٌ عليه، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الختم، فإثباته تخييل. (حاشية الصاوي)

وعلى سمعهم: أي مواضعه، إنما قدر ذلك المضاف؛ لأن السمع معنى من المعاني، لا يصحّ إسناد الختم لها. وإفراده إما لأنه مصدر لا يثنّى ولا يجمع، أو لكون المسموع واحدا. والمراد بالغشاوة عدم وصول النور المعنوي لهم، فأطلق اللازم وأراد الملزوم. وخص الثلاثة؛ لأنها طرق العلم بالله. السمع: إدراك القوة السامعة، وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها أي الأذن، وهو المراد ههنا؛ لأنه أشد مناسبة للختم؛ إذ هو المختوم عليه أصالة. وفي توحيد السمع وجوه، أحدها: أنه في الأصل مصدر، والمصادر لا تجمع؛ لصلاحيتها للواحد والاثنين والجماعة.

فإن قيل: فلمَ جمع "الأبصار" والواحد بصر، وهو كالسمع؟ قلنا: إنه اسم للعين، فكان اسماً لا مصدراً؛ فجمع لذلك. ولما اشترك السمع والقلب في الإدراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات، وإدراك الأبصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة (روح البيان). وأيضا الغشاوة على السمع لا يمنع عن السماعة والتفهم، بل الغشاوة على البصر يمنع عن الإبصار؛ لأجل هذا جعل ما يمنعهما من فعلهما الختم، وجعل المانع لها عن فعلها الغشاوة.

أي مواضعه؛ فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ غطاء؛ بالرفع خبر ومبتدأ فلا يبصرون الحق وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ قوي دائم. ونزل في المنافقين: وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أي يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ روعي فيه معنى "مَن"، وفي ضمير "يقول" لفظها. يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم **أحكامه الدنيوية** وَمَا يُخَٰدِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ الكفر لأن **وبال** خداعهم راجع إليهم، فيفتضحون في الدنيا باطلاع الله نبيه على ما أبطنوه، ويعاقَبون في الآخرة وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم. الفاء للتعليل

والمخادعة هنا من واحد كـ"عاقبت اللص"، **وذكر الله**.....

أي مواضعه: جواب ما يقال: كيف وحّدَ السمع وجمعَ ما قبله وما بعده؟ وإيضاح ذلك أنه مصدرٌ حذف ما أضيف إليه؛ لدلالة المعنى، أي مواضع سمعهم، وقرئ شاذا: "وعلى أسماعهم". (تفسير الكرخي)

ومن الناس إلخ: خبر مقدم، و"من يقول" مبتدأ مؤخر، وقال أيضا: إن قوله: "من يقول" محلها الرفع على الخبرية. ونزلت في المنافقين: عبد الله بن أبي ابن سلول، ومعتب بن قشير وغيرهما. (معالم التنزيل)

يخادعون الله: هذه الجملة الفعلية تحتمل أن تكون بدلا من الجملة الواقعة صلة لـ "مَن"، وهو"يقول"، ويكون هذا بدل الاشتمال؛ لأن قولهم كذا مشتمل على الخداع، وأصل الخداع الإخفاء. (تفسير السمين)

أحكامه الدنيوية: أي الكائنة في الدنيا، وذلك كالقتل والسبي والجزية والذل، ولو قصدوا دفع أحكامه الأخروية من الخلود في النار وغضب الجبار لَأخلصوا في إيمانهم. (حاشية الصاوي) **وبال**: أي ضرره عائد إلى أنفسهم، وإن كان الخداع بحسب الظاهر للمؤمنين. (تفسير الكمالين)

والمخادعة إلخ: أشار به إلى جواب سؤال مقدر، ومحصله: أن الخدعة الحيلة والمكر، وإظهار خلاف الباطن، فهي بمنزلة النفاق، وهي مستحيلة في حق الله تعالى، وصيغة المفاعلة تقتضي المشاركة، فأشار إلى جوابه بما ذكروا، محصله أنها هنا ليست على بابها. **وذكر الله**: جواب سؤال آخر، تقديره: كيف يخادَع الله أي يحتال عليه وهو يعلم الضمائر، فكيف قيل: يخادعون الله؟ فأجاب عنه بما ذكر، ومحصله: أن الآية من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حالهم في معاملتهم الله بحال المخادع مع صاحبه، من حيث القبح، أو من باب المجاز العقلي في النسبة الإيقاعية، وأصل التركيب "يخادعون رسول الله"، أو من باب التورية، حيث ذكر معاملتهم لله بلفظ الخداع، من "أبي السعود" وغيره.

فيها **تحسين**، وفي قراءة: **"وما يَخدَعُون"**. فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ شك ونفاق، فهو يمرض قلوبهم أي يضعفها فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ بما أنزله من القرآن؛ لكفرهم به وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ **مؤلم** بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ بالتشديد للأكثر أي نبيَ الله، وبالتخفيف أي في قولهم لأهل الكوفة: "آمنا". وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أي لهؤلاء لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بالكفر والتعويق عن الإيمان قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ وليس ما نحن عليه بفساد، قال الله تعالى ردا عليهم: أَلَآ للتنبيه إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ بذلك. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ أصحاب النبي ﷺ، قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ الجهال، أي لا نفعل كفعلهم، قال تعالى ردا عليهم: أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ذلك.....

تحسين: أي تحسين معنوي للكلام، وهو الجمع بين المتضادين في الجملة، كما في "مختصر المعاني". وفي "معالم التنزيل": وقيل: "ذكر الله" ههنا تحسين، والقصد بالمخادعة الذين آمنوا كقوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ (الأنفال: ٤١) **مؤلم**: أي بفتح اللام، على أنه اسم مفعول من الإيلام، وصف العذاب للمبالغة، وهو في الحقيقة صفة المعذب بفتح الذال المعجمة، ووجه المبالغة: إفادة أن الألم بلغ الغاية حتى سرى من المعذَّب إلى العذاب المتعلق له. (روح البيان) وفي "الخطيب": ويجوز كسر لام "مؤلم" كـ"سميع" بمعنى "مسمع"، وعليه فنسبة الأليم إلى العذاب حقيقة. **يكذبون**: الكذب: هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به. وقال البيضاوي تبعا للزمخشري: وهو حرام كله، وهذا ليس على إطلاقه؛ فإن من الكذب ما هو مباح، وما هو مندوب، وما هو واجب، وما هو حرام؛ لأن الكلام وسيلة إلى المقصود كما هو محقَّق في كتب الفقه وغيره.

وإذا قيل لهم: شروع في ذكر قبائحهم وأحوالهم الشنيعة، وفي الحقيقة هو تفصيل للمخادعة الحاصلة منهم، وهذه الجملة تحتمل أنها استئنافية، وتحتمل أنها معطوفة على "يكذبون"، أو على صلة "من" وهي "يقول"، والتقدير: من صفاتهم أنهم يقولون: آمنا إلخ، ومن صفاتهم أنهم إذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض إلخ. (حاشية الصاوي)

مصلحون: بين المؤمنين والكافرين بالمداراة. **ولكن لايشعرون**: [إنهم مفسدون، فحذف المفعول للعلم به.] ليس عندهم شعور بالإفساد؛ لطمس بصيرتهم، وعبّر بالشعور دون العلم؛ إشارةً إلى أنهم لم يصلوا إلى رتبة البهائم؛ فإن البهائم تمتنع من المضار فلا تقربها؛ لشعورها بخلاف هؤلاء. (حاشية الصاوي)

وَإِذَا لَقُوا أصله:"لَقيُوا"، حذفت الضمة؛ للاستثقال، ثم الياء؛ لالتقائها ساكنةً مع الواو، ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ منهم، ورجعوا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ رؤسائهم قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ فِي الدين إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ بهم بإظهار الإيمان. ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ **يجازيهم** باستهزائهم وَيَمُدُّهُمْ يمهلهم فِى طُغْيَٰنِهِمْ تجاوزهم الحدَ في الكفر يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ يترددون تحيرا، حال. أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ **استبدلوها به فَمَا رَبِحَت** تِّجَٰرَتُهُمْ أي **ما ربحوا** فيها بل خسروا؛ لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ **فيما فعلوه.** مَثَلُهُمْ صفتهم في نفاقهم كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ **أوقد** نَارًا في ظلمة .....

وإذا لقوا إلخ: سبب نزول هذه الآية أن أبا بكر وعمر وعليا ﷺ توجهوا لعبد الله ابن سلول - لعنه الله - فقال له أبو بكر ﷺ: "هلم أنت وأصحابك، وأخلص معنا". فقال له: "مرحباً بالشيخ والصديق"، ولعمر: "مرحباً بالفاروق القوي في دينه"، ولعلي ﷺ: "مرحباً بابن عم النبي"، فقال له علي ﷺ: "اتق الله ولا تنافق"، فقال: "ما قلت ذلك إلا لكون إيماني كإيمانكم". فلما توجهوا، فقال لجماعته: "إذا لقوكم فقولوا مثل ما قلت"، فقالوا: "لم نزل بخير ما عشت فينا". (حاشية الصاوي) **إنما:** توكيد لقوله "إنا معكم".

يجازيهم: سمي جزاء الاستهزاء باسمه على سبيل المشاكلة، كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠)، وإنما أوّل بذلك؛ لأنه لا يجوز الاستهزاء أي السخرية عليه سبحانه تعالى شأنه عن العبث والجهل. (تفسير الكمالين)

استبدلوها به: أشار بذلك إلى أن المراد بالشراء مطلق الاستبدال، والباء داخلة على الثمن، والمراد بـ"الضلالة" الكفر وبـ"الهدى" الإيمان، وكلامه يقتضي أن الهدى كان موجودا عندهم ثم دعوه وأخذوا الضلالة، وهو كذلك؛ لقوله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة . (حاشية الصاوي)

فما ربحت إلخ: ترشيح للمجاز، أي ما ربحوا فيها؛ فإن الربح مسند إلى أرباب التجارة في الحقيقة، فإسناده إلى التجارة نفسها على الاتساع؛ لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها إياه من حيث إنها سبب الربح والخسران. ودخلت الفاء؛ لتضمن معنى الشرط، تقديره: وإذا اشتروا فما ربحوا، كما في "الكواشي". **فإن قيل:** كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على الهدى؟ **قلت:** جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم، فإذا تركوه ومالوا إلى الضلالة فقد استبدلوها به.

ما ربحوا: أشار إلى أن إسناد الربح للتجارة مجاز عقلي، وحقه أن يسند للتاجر. **فيما فعلوه:** أي إلى طريق التجارة.

أوقد: يشير إلى أن "استوقد" بمعنى "أوقد" لا على الطلب، كما قال الزمخشري وأشياعه. (تفسير الكمالين)

فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ **أنارت** مَا حَوۡلَهُۥ فأبصر **واستدفأ**، وأمن ما يخافه ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ أطفأه. **وجمع الضمير** مراعاة لمعنى "الذي" (المستوقد) وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ ما حولهم، متحيرين عن الطريق، خائفين، فكذلك هؤلاء، أَمنوا بإظهار كلمة الإيمان، فإذا ماتوا (مفعول) جاءهم الخوفُ والعذابُ. **هم** صُمُّۢ (حال) عن الحق؛ فلا يسمعونه سماعَ قبول بُكۡمٌ (حال) خرس عن الخير؛ **فلا يقولونه** عُمۡيٞ عن طريق الهدى؛ فلا يرونه فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ **عن الضلالة. أو** مثلهم كَصَيِّبٖ أي **كأصحاب** مطر، وأصله: "صَيْوبٌ" من "صاب يصوب" أي ينزل (جمع أخرس) مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أي **السحاب فِيهِ** أي السحاب.....

أنارت: أشار به إلى أن الفعل متعد، ففاعله ضميره المستتر، و"ما" الموصولة مفعوله، أي أضاءت النار المكان الذي حوله، فـ "ما" بمعنى المكان. (حاشية الجمل) **استدفأ**: "دفء" الحرارة. (الصراح) **وجمع الضمير**: كما أن إفراده في "استوقد" باعتبار اللفظ. (تفسير الكمالين) **هم صم إلخ**: أشار به إلى أن "صم بكم" خبر مبتدأ محذوف وهو "هم"، وعليه الجمهور. وقوله: "فهم لا يرجعون" جملة مستأنفة. (تفسير أبي البقاء)

فلا يقولونه: لما أبطنوا خلاف ما أظهروا، فكأنهم لم ينطقوا. **عن الضلالة**: أشار به إلى أن الفعل لازم أي لا يرجعون عن الضلالة، أو لا ينتهون عن الباطل ما هو صنيع غيره. وقيل: هو متعد ومفعوله محذوف، تقديره: فهم لا يردون جوابا. (تفسير أبي البقاء بتغيير يسير) والآية فذلكة التمثيل، وأفادت أنهم كانوا يستطيعون الرجوع باستطاعة سلامة الآلات حيث استحقوا الذم بتركه، وأن قوله: "صم بكم عمي" ليس بنفي الآلات، بل هو نفي تركهم استعمالها. **أو كصيب إلخ**: في "أو" خمسة أقوال، أظهرها: أنها للتفصيل بمعنى أن الناظرين في حال هؤلاء، منهم من يشبههم بحال المستوقد الذي هذه صفته، ومنهم من يشبههم بأصحاب صيب هذه صفته. (حاشية الجمل)

كأصحاب: أشار إلى أن في الكلام حذف، تقديره: أو كأصحاب صيب أي مطر. **السحاب**: أشار إلى أن أطلق السماء وأريد به السحاب؛ لأن المطر موضعه السحاب، وعن ابن عباس ﷺ: "أن تحت العرش بحر ينزل منه أرزاق الحيوانات، يوحى إليه؛ ليمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى سماء الدنيا، ويوحى إلى السحاب أن غربله، فيغربله فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك يضعها موضعها". (روح البيان)

فيه: المتبادر من ظاهر النظم أن الضمير راجع لـ"صيب"، وقد أعاده غير الجلال ﷺ من المفسرين، وأما هو فقد أعاده إلى السحاب الذي هو مدلول السماء، وهو خلاف ظاهر نظم الآية. و"في" بمعنى "مع". (حاشية الجمل) وفي "معالم التنزيل": قوله تعالى: "فيه" أي الصيب، وقيل: "في السماء" أي في السحاب، ولذلك ذكره، وقيل: السماء يذكر ويؤنث، قال الله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ (المزمل: ١٨). وقال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (الانفطار: ١).

ظُلُمَٰتٌ متكاثفة وَرَعۡدٌ هو الملك **الموكّل به**، وقيل: صوته وَبَرۡقٌ لمعان سوطه الذي **يزجره** به يَجۡعَلُونَ أي أصحاب الصيب أَصَٰبِعَهُمۡ **أي أناملها** فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ أجل ٱلصَّوَٰعِقِ شدة صوت الرعد؛ لئلا يسمعوها حَذَرَ خوف ٱلۡمَوۡتِۚ من سماعها، **كذلك** (الإضافة بيانية) **هؤلاء** إذا نزل القرآن، وفيه ذكر الكفر المشبَّه بالظلمات، والوعيد عليه المشبَّه بالرعد، والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدّون آذانهم؛ لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم، وهو عندهم **موت** وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ علما وقدرة **فلا يفوتونه**. يَكَادُ يقرب ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ يأخذها بسرعة كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ أي في ضوئه وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وقفوا،.....

ورعد: وهو الصوت الذي يسمع من السحاب. (معالم التنزيل) **الموكل به**: أي بالسحاب، روى "الترمذي" عن ابن عباس ﷺ مرفوعا: "الرعد الملك الموكل بالسحاب، معه مخاريق من نار، يسوق بها السحاب حيث شاء الله." كما قاله علي وعبد الله بن عباس ﷺ وأكثر المفسرين. والبرق: لمعان سوطه من نور. (معالم التنزيل)

وبرق: قال: هو النار التي تخرج من السحاب، قال في "معالم التنزيل": وهو أصح الأقوال، وفي "الجمل": وسوطه: آلة من نار يزجر بها السحاب. ويزجر -بضم الجيم- من باب نصر أي يسوقه كما في "المختار".

يزجره: روى ابن جرير عن ابن عباس ﷺ قال: "البرق سوط من نور يزجر به الملك السحاب". (تفسير الكمالين)

أي أناملها: أشار إلى أنه من أنواع المجاز اللغوي، وهو إطلاق الكل على الجزء، ونكتة التعبير عنها بـ"الأصابع" إشارة إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغة في الفرار من شدة الصوت، فكأنهم جعلوا الأصابع جميعها. (تفسير الكرخي)

حذر: مفعول له للجعل المعلل بقوله: "من الصواعق".

كذلك هؤلاء إلخ: هذا شروع في بيان حال المشبه بعد بيان حال المشبه به، وهذا التوزيع في كلامه يقتضي أن الآية من قبيل التشبيهات المفردة، والأقرب أن لفظ الآية من قبيل التشبيه المركب، ولذلك قال البيضاوي: الظاهر أن التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة، وهو: أن تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا بأخرى مثلها، فالغرض تمثيل حال المنافقين. (حاشية الجمل مختصرا) **موت**: والموت فساد بنية الحيوان. **والله إلخ**: الجملة اعتراض لا محل لها. **فلا يفوتونه**: أي فههنا استعارة تمثيلية، شبَّه حاله تعالى مع الكفار في أنهم لا يفوتونه، ولا محيص لهم عن عذابه، بحال المحيط بالشيء في أنه لا يفوته المحاط. (تفسير الكمالين)

تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبَهم، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفهم عما يكرهون **وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ بمعنى أسماعهم وَأَبْصَٰرِهِمْ** الظاهرة، كما ذهب بالباطنة **إِنَّ ٱللَّهَ كان عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شاءه قَدِيرٌ** ﴿٢٠﴾ ومنه إذهاب ما ذكر. **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ** أي **أهل مكة ٱعْبُدُوا وحِّدوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ** أنشأكم و لم تكونوا شيئا **وَ** خلق **ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿٢١﴾ بعبادته عقابَه، و"لعل" في الأصل: **للترجي** وفي كلامه تعالى .....

بيان للمناسبة

تمثيل: أي فهو تمثيل لهؤلاء المنافقين بأنهم كلما سمعوا من القرآن ما فيه من الحجج، أزعج قلوبهم؛ لظهورها لهم، وصدقوا به إن كان مما يحبون من عصمة الدماء والأموال والغنيمة ونحوها، وإن كان مما يكرهون من التكاليف الشاقة عليهم كالصلاة والصوم وقفوا متحيرين. (تفسير الكرخي) **لإزعاج**: أي تحريكه قلوبهم عما كانت عليه، في "القاموس": زعجه: أقلعه وقلعه من مكانه كـ"أزعجه". (تفسير الكمالين) **ولو شاء الله إلخ**: مفعول "شاء" محذوف؛ لدلالة الجواب عليه، أي ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما، وقد تكاثر هذا الحذف في "شاء" و"أراد". (تفسير المدارك)

بمعنى أسماعهم: إشارة إلى أن المفرد بمعنى الجمع بقرينة "وأبصارهم". **شاءه**: [يشير إلى أن "الشيء" اسم بمعنى "مشيء" اسم مفعول.] قيد بذلك لإخراج الواجب وهو ذاته وصفاته؛ فإنهما من جملة الشيء؛ إذ هو الموجود، لكنهما ليسا من متعلقات الإرادة، فالمراد بقوله "شاءه" أن من شأنه أن يشاءه، وذلك هو الممكن. (حاشية الجمل) وفي تفسير "روح البيان": فلا يشك في أن المراد من الشيء في أمثال هذا ما سواه تعالى، فالله تعالى مستثنى في الآية مما يتناوله لفظ الشيء بدلالة العقل، فالمعنى: على كل شيء سواه قدير، كما يقال: "فلان أمين" على معنى: أمين على من سواه من الناس، ولا يدخل فيه نفسه وإن كان من جملتهم.

أهل مكة: ولا ينافي ذلك كون السورة مدنية. وأما ما روى الحاكم عن ابن مسعود ﷺ: ما كان "يا أيها الناس" فبمكة، وما كان "يا أيها الذين آمنوا" فبالمدينة، فهو على الأكثر وليس بعام. (تفسير الكمالين)

وحدوا: قال ابن عباس ﷺ: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد. قال البغوي ﷺ: وخرجوه على وجهين، أحدهما: أن العبادة لا تكون إلا بالتوحيد، فهو سبب لها فأطلق عليها مجازا، والثاني: أنه بمعنى اجعلوا عبادتكم لواحد ولا تعبدوا غيره، ذكره "الخفاجي". (تفسير الكمالين)

للترجي: الطمع في المحبوب، وعبر عنه قوم بالتوقع، وذلك لا يكون إلا مع الجهل بالعاقبة، وهو محال في حقه تعالى، فيجب تأويله كما أشار إلى ذلك بقوله: "وفي كلامه تعالى للتحقيق" أي لتحقيق الوقوع؛ لأن الكريم لا يطمع إلا فيما يفعله ، وفيه نظر: لأن في أكثر المواضع من كلام الله ما جاء للتحقيق، فكلية قوله: "وفي كلامه تعالى =

للتحقيق. ٱلَّذِى جَعَلَ خلق لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا حال، **بساطا** يفترش، لا غاية لها في الصلابة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً **سقفا** وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ **أنواع ٱلثَّمَرَٰتِ** رِزْقًا لَّكُمْ تأكلونه **وتعلفون** به دوابكم **فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا** شركاء في العبادة وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

تفريع على المنفي

= للتحقيق" غير مسلَّم، والجواب عن المحال: أن الطمع بالنسبة إلى المخاطبين، أي حال كونكم مترجين التقوى طامعين فيها، ونصه في "السمين" حيث قال: وإذا ورد "لعل" في كلام الله تعالى فللناس فيه ثلاثة أقوال، أحدها: أن "لعل" على بابها من الترجي والإطماع، ولكن بالنسبة إلى المخاطبين أي لعلكم تتقون على رجائكم وطمعكم، وكذا قال سيبويه في قوله تعالى: "لعله يتذكر" أي اذهبا على رجائكما. والثاني: أنها للتعليل أي اعبدوا ربكم لكي تتقوا، وبه قال قطرب والطبري وغيرهما، والثالث: أنها للتعرض للشيء، كأنه قيل: افعلوا ذلك متعرضين لأن تتقوا، وأيضا في "تفسير أبي البقاء": قوله: "لعلكم" متعلق في المعنى بـــ "اعبدوا" أي اعبدوه؛ ليصح منكم رجاء التقوى.

للتحقيق: أي لتحقيق مضمون ما بعدها، ولا يطّرد؛ لورود نحو: "لعله يزكي أو يذكر إلخ". (حافظ)

بساطا: يفترش، وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا، وهو الذي له طول وعرض، فإن كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها. (روح البيان) **سقفا**: جاء التعبير به في آية أخرى، فعبر عنه هنا بالبناء إشارة إلى إحكامه. (حاشية الجمل) **من السماء**: أي مطر ينحدر منها على السحاب، ومنه على الأرض، وهو رد لمن زعم أنه يأخذه من البحر. (روح البيان) **أنواع الثمرات إلخ**: الظاهر أنه جعل "من" للبيان لقوله: "رزقا لكم". و"رزقا" بمعنى المرزوق مفعول، و"أنزل" و"لكم" صفة له، ويجوز أن تكون "من" للتبعيض، و"رزقا" مفعول له، كأنه قيل: وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا بعض الثمرات؛ ليكون بعض رزقكم. (تفسير الكمالين)

وتعلفونه: إشارة إلى أن المراد بـــ"الثمرات" جميع ما ينتفع به مما يخرج من الأرض، كما قال المفسرون. والعلف طعام الدواب وغيرها. **فلا تجعلوا**: هو متعلق بالأمر، أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا لله أندادا؛ لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد، وأن لا يجعل له ند ولا شريك. **أندادا**: جمع ند وهو المثل. وعن ابن عباس ﷺ: لا تقولوا: لولا فلان لأصابني كذا، ولولا كلبنا يصيح على الباب لسرق متاعنا. وعن النبي ﷺ أنه قال: "إياكم و"لو"؛ فإنه من كلام المنافقين"، قالوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران: ١٥٦) إلخ. (روح البيان) و"أندادا" مفعول أول للفعل، والثاني هو الجار والمجرور، و"أنتم تعلمون" جملة مبتدأ وخبر في موضع الحال، ومفعول "تعلمون" محذوف، أي بطلان ذلك. (من تفسير أبي البقاء وغيره)

أنه الخالق ولا يخلقون، **ولا يكون إلها** إلا مَن يخلق وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ **شك** مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا محمد من القرآن أنه من عند الله، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ أي المنزل، (الإضافة للتشريف) (أمر تعجيز) (الضمير لـ"ما نزلنا") و"من" للبيان أي هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب. والسورة: **قطعة** لها أول وآخر، وأقلها: ثلاث آيات وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم **آلهتكم** التي تعبدونها مِّن دُونِ اللَّهِ أي **غيره**؛ لتعينكم إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ في أن محمدا قاله من عند نفسه، (متعلق بـ"شهداءكم") **فافعلوا ذلك**؛ فإنكم عربيون فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك، قال تعالى: فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ما ذكر؛ لعجزكم وَلَن تَفْعَلُوا ذلك أبدا؛ لظهور إعجازه، اعتراض. فَاتَّقُوا (بين الشرط والجزاء) بالإيمان بالله **وأنه** ليس من كلام البشر النَّارَ الَّتِي **وَقُودُهَا** النَّاسُ الكفار وَالْحِجَارَةُ كأصنامهم منها، يعني أنها مفرطة الحرارة، تتقد بما ذكر لا كـ"نار الدنيا" تتقد (أصنامهم الكائنة من الحجارة) بالحطب ونحوه أُعِدَّتْ هيئت لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ يعذبون بها، جملة مستأنفة **أو حال**....

أنه: يشير إلى أن مفعول "تعلمون" محذوف. **ولا يكون إلها**: هذا هو من تمام الدليل، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:١٧). (حاشية الصاوي) **شك**: جعل الشك ظرفا لهم، إشارة إلى أنه تمكن منهم تمكن الظرف من المظروف. (حاشية الصاوي) **من مثله**: صفة "سورة" أي بسورة كائنة من مثله، والضمير لـ"ما نزلنا"، و"من" للتبعيض أو للتبيين أو زائدة عند الأخفش، أي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم. (تفسير البيضاوي)

قطعة: أي قطعة من القرآن معلوم الأول والآخر، وإنما سميت سورة؛ لكونها أقوى من الآية، من "سور الأسد" أي قُوته. هذا إن كانت واوها أصلية، وإن كانت منقلبة عن همزة، فهي مأخوذ من السؤر الذي هو البقية من الشيء. فالسورة: قطعة من القرآن، مُفْرَزَةً من غيرها. (روح البيان) **آلهتكم**: سموا شهداء؛ لأنهم يشهدون لهم بين يدي الله في القيامة بصحة عبادتهم إياهم على زعمهم الفاسد. **غيره**: أشار إلى أن "دون" بمعنى "غير".

فافعلوا ذلك: هذا جواب الشرط وهو "إن كنتم...". **وأنه**: عطف على لفظ الجلالة أي وبالإيمان بأنه ليس من كلام البشر. **وقودها**: الجمهور على فتح الواو وهو الحطب، وقرئ بالضم. (تفسير أبي البقاء) وفي "الصراح": **وقودها** –بالضم– اشتعال النار. **أو حال إلخ**: أي من "النار"، ولا يصح أن تكون حالا من الضمير في "وقودها"؛ **لأنه مضاف إليه، ولأن** المضاف اسم بمعنى العين كالحطب، فهو جامد لا يعمل. (حاشية الجمل)